**درس بعنوان: تفسير سورة الناس**

**لفضيلة الشيخ الدكتور/ عبد العزيز بن أحمد البداح**

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أما بعد، فهذا درسٌ في شرح سورة الناس ضمن دروس شرح قصار السور.

سورة الناس هي إحدى المعوذات، وقد جاء في فضلها ما رواه مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ قال: **((أَلَمْ تَرَ آيَاتٍ أُنْزِلَتِ اللَّيْلَةَ لَمْ يُرَ مِثْلُهُنَّ قَطُّ، {قُلْ أَعُوذُ برَبِّ الفَلَقِ}، {وَقُلْ أَعُوذُ برَبِّ النَّاسِ}))** .

وجاء عند أحمد في المسند أن النبي ﷺ قال لعقبة بن عامر: **((أَلَا أُخْبِرُكَ بأفضلِ ما تَعَوَّذَ بِهِ الْمُتَعَوِّذونَ قال: بلى يا رسول الله، قال: قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ وقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ))** .

**قُل أوذ** يأمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة برب الناس ، والاستعاذة هي الالتجاء، فـ**أَعُوذُ** معناها ألتجئ وأتحصن برب الناس.

**بِرَبِّ النَّاسِ** الرب مأخوذ من تربية الشيء شيئًا فشيئًا حتى يبلغ التمام، والرب هو المالك والمتصرف والمنعم والسيد والمطاع إلى غير ذلك من إطلاقات هذه المفردة.

﴿**مَلِكِ النَّاسِ**﴾ ملك اسم من أسماء الله تعالى، وقد جاء من أسمائه سبحانه مالك كما في قوله في سورة الفاتحة ﴿**مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ**﴾ [الفاتحة:4]ومن أسمائه سبحانه مليك كما قال عز وجل ﴿**إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَهَرٍ \* فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِيكٍ مُقْتَدِرٍ**﴾ [القمر:54-55] والمالك والمليك والملك بمعنى المتصرف والنافذ أمره في ملك تام مطلق.

وقوله ﴿**إِلَهِ النَّاسِ**﴾ الإله هو المعبود ،وقد سبق بيان أن كلمة إله مأخوذة من الفعل أله يأله إلهة يعني يعبد عبد عبادة، وهذا ما رجحه شيخ المفسرين ابن جرير الطبري رحمه الله في تفسيره.

﴿**مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ**﴾ الوسوسة هي الخطرة الرديئة، والوسواس يعني اسم للشيطان بمعنى الموسوس فيكون اسم فاعل .

وقيل: الوسواس مصدر وسوسة، سمي بذلك على سبيل المبالغة لملازمته وعكوفه على الوسوسة.

وقيل: الوسواس على حذف مضاف تقديره ذي الوسواس .

الخناس يعني الذي ينقبض إذا ذكر اسم الله تعالى، قال سبحانه ﴿**فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ**﴾ [التكوير:15]أي الكواكب التي تخنس بالنهار يعني تختفي وتنقبض.

﴿**الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ**﴾بأنواع الخطرات الرديئة.

﴿**مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾بيان للذي يوسوس، وأنه يكون من الجن ومن الإنس، كما قال تعالى: ﴿**شَيَاطِينَ الإِنسِ والجن**﴾ [الأنعام:112] .

هذه السورة تشتمل على لطائف عظيمة ، هي :

**اللطيفة الأولى**: خص الله تعالى في هذه السورة الاستعاذة من وسوسة الشيطان، إشارة لعظم فتنته، وقوة أثره، وشدة تسلطه على الخلق.

**اللطيفة الثانية:** ذكر الله تعالى في هذه السورة أسماءه الحسنى، وما تدل عليه من الصفات العلا :رب، وملك، وإله، إشارة إلى عظم شر المستعاذ منه، وهو الشيطان.

**اللطيفة الثالثة**: كرر الله تعالى في هذه السورة كلمة الناس لما في الإظهار من مزيد البيان والإشعار بشرف الإنسان، ولأن الإنسان هو المخاطب بالاستعاذة في هذه السورة.

**اللطيفة الرابعة:** الأمر بالاستعاذة بالله تعالى في هذه السورة تفريد وتوحيد، وإخلاص وتجريد، فالاستعاذة عبادة لا تصرف إلا لله تعالى، وصرفها لغير الله من الشرك الأكبر، والذنب الذي لا يغفر.

**اللطيفة الخامسة:** نوّع الله تعالى المستعاذ به من أسمائه الحسنى وما تدل عليه من صفاته العلا، ليطمئن العبد أنه سبحانه هو القادر على حفظه وكلاءته وصيانته ورعايته، فكأنه يقول : استعذ بالرب وبالملك وبالإله، وفي هذا طمأنة للعبد.

**اللطيفة السادسة**: الوسواس يدخل فيه أنواع ما يوسوس به الشيطان كالتحزين. كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا**﴾ [المجادلة:10] .

والتخويف كما في قوله تعالى ﴿**إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ**﴾ [آل عمران:175] **.**

وكالتزيين كما في قوله تعالى ﴿**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ**﴾ [الأنفال:48].

والتسويل كما في قوله تعالى ﴿**الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَى لَهُمْ**﴾ [محمد:25] .

والوعود الكاذبة والأماني الخادعة كما في قوله تعالى ﴿**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا**﴾ [النساء:120]فما يوسوس به الشيطان في قلب العبد على صور متعددة وأنواع متباينة كلها من أجل صرف العبد عن طاعة الله تعالى.

**اللطيفة السابعة:** من أنواع الوسواس الذي يبتلى به الناس: الوسوسة في الصلاة والوضوء، عند أحمد والترمذي أن النبي ﷺ قال: **((إِنَّ لِلْوُضُوءِ شَيْطَانًا يُقَالُ لَهُ: وَلَهَانُ، فَاتَّقُوا وَسْوَاسَ الْمَاءِ))** .

وجاء عند مسلم أن عثمان بن أبي العاص شكى إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول إن الشيطان حال بيني وبين صلاتي يلبسها علي، فقال ﷺ: **((ذاك شيطان يقال له خنزب فإذا أحسست به فاستعذ بالله واتفل عن يسارك ثلاثًا))** والوسوسة باب دخل منه الشيطان على بعض الناس فأوحى إليهم وزين لهم أن يكرروا فعل الوضوء أو الصلاة لمرات كثيرة، وأغرقهم في وحل الوسوسة حتى فوتوا كثيرًا من مصالح دينهم ودنياهم وآخرتهم .

ولهذا فعلى العبد أن يستعيذ بالله من شر الشيطان وشركه، وأن يلجأ إلى الله عز وجل في رفع ما يجده من الوسوسة، وأول العلاج أن ينتهي عندما يخطر له الشيطان فيملي له إعادة الوضوء أو الصلاة، ولا يسترسل مع الشيطان في الاستجابة لما يمليه ويزينه فإذا فعل ذلك انقطع الشيطان عنه ولم يتسلط عليه.

**اللطيفة الثامنة:** التعوذ ليس مجرد قول "أعوذ بالله" بل القول تعبير وترجمة عن الفعل والحال، ولهذا فلا يصح للعبد أن يستعيذ من الشيطان وهو متبع للشهوات مرتكب للذنوب التي هي محاب الشيطان ومن وحيه وتزيينه، بل لابد أن يكون القول تابعًا للفعل، فيجب عليه أن يبتعد عن الشيطان الذي تعوذ منه، وإلا فيكون حاله كحال من يتعوذ من لص أو سبع وهو ثابت في مكانه على أنه مأمور بالابتعاد عنه.

**اللطيفة التاسعة:** أشار الرب تبارك وتعالى إلى أنواع التوحيد الثلاثة في هذه السورة فقوله عز وجل **بِرَبِّ النَّاسِ** إشارة إلى الربوبية و**مَلِكِ النَّاسِ** إشارة إلى الأسماء والصفات و**إِلَهِ النَّاسِ** إشارة إلى الألوهية.

**اللطيفة العاشرة:** قوله عز وجل ﴿**مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ**﴾إشارة إلى أن في الآدميين شياطين كشياطين الجن يدعون إلى الباطل ويوسوسون بالسوء، قال قتادة رحمه الله: (إن من الناس شياطين، ومن الجن شياطين، فتعوذوا بالله من شياطين الإنس والجن) .وشيطان الإنس كشيطان الجن يدخل على العبد أحيانًا من باب الشبهة و،أحيانًا من باب الشهوة وأحيانًا من باب التسويل وأحيانًا من بابالتزيينوأحيانًا من باب التخويفوأحيانًا من باب الترويع إلى آخر ذلك وأحيانًا يظهر بمظهر الناصح المشفق، المهم أن من الآدميين من هو شيطان كشيطان الجن ويتخذ ما يتخذه شياطين الجن من الأساليب والوسائل لإضلال الناس والإمعان في ذلك.

**اللطيفة الحادية عشرة**: الوسوسة من الشيطان لها مداخل كثيرة وأبواب متعددة يدخل منها على العبد، فيدخل عليه من باب الكفر والشرك، فإن لم يقدر عليه فمن باب البدعة، فإن لم يقدر عليه فمن باب الكبائر، فإن لم يقدر عليه فمن باب الصغائر، فإن لم يقدر عليه فمن باب التوسّع في المباحات، فإن لم يقدر عليه فمن باب الاشتغال بالمفضول عن الفاضل ، فإن لم يقدر عليه سلط الشيطان على المؤمن أولياءه وجنده من شياطين الإنس فيؤذونه ويتعرضون له ، وهذه الأخيرة لا يسلم منها أحد ، ولو سلم منها أحد لسلم منها أنبياء الله ورسله.

**اللطيفة الثانية عشرة** :قول عز وجل "**فِي صُدُورِ النَّاسِ"** ولم يقل في قلوب الناس، إشارة إلى عدم تمكن الوسوسة، وأنها غير حالة في القلب ومستقرة فيه، بل هي في الصدر حول القلب، وهذا يُطمئن العبد المؤمن، وقد جاء في الحديث عن أبي داوود والنسائي **((الحمدُ للهِ الذي ردَّ كيدَه إلى الوسوسةِ))** .

**اللطيفة الثالثة عشرة**: تنفع الاستعاذة صاحبها إذا كان موقنًا بالمستعاذ به سبحانه من أنه الرب الخالق والمالك المتصرف والإله المعبود، فإن لم يكن معها يقين وإيمان فإنها لا تنفع صاحبها.

**اللطيفة الرابعة عشرة:** قال سبحانه "**أَعُوذُ"** جاء سبحانه بالفعل المضارع الذي يدل على التجدد والحدوث، للإشارة إلى أن كيد الشيطان مستمر دائم لا ينقطع إلا بموت الإنسان، ولهذا فالواجب على العبد ألا يفتر عن الاستعاذة منه.

**اللطيفة الخامسة عشرة**: من استعاذ بالله فأعاذه، فهو في حصن حصين، ودرع متين، ومأمن من الشيطان، وحفظ من وساوسه، ومن لم يستعذ بالله أو لم يعذه الله، فحاله كحال ضعيف في أرض مسبعة ينتظر الموت، ويترقب الهلاك، وهو في قلق دائم، وخوف مستمر.

**اللطيفة السادسة عشرة**: الأمر بالاستعاذة إشارة إلى ضعف العبد وحاجته وفقره وفاقته، وأنه لا يؤويه إلا ربه، ولا يحفظه إلا خالقه، ولا يحرسه إلا إلله.

**اللطيفة السابعة عشرة:** قوله سبحانه "**إِلَهِ النَّاسِ"** بعد قوله "**رَبِّ النَّاسِ"** و **"مَلِكِ النَّاسِ**" زيادة في البيان لأنه يقال لغير الله رب، كما يقال رب الدار، ورب الأرض، كما في قوله سبحانه ﴿**اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ**﴾ [التوبة:31]ويقال أيضًا ملك الناس لغيره كما يقال لملوك الأرض، أما إله الناس فهي زيادة بيان، لأن إله الناس خالصة لله لا شركة فيها، لأنه لا يقال لأحد من البشر أنه إله الناس.

**اللطيفة الثامنة عشرة**: ختم الله عز وجل القرآن بالمعوذتين وذلك لأمرين:

الأمر الأول: لما كان القرآن من أعظم النعم على عباده، كانت هذه النعمة مظنة للحسد، فختم الله عز وجل بما يطفئ الحسد من الاستعاذة بالله .

الأمر الثاني: أن الله افتتح كتابه بالفاتحة التي لم ينزل في التوراة ولا في الإنجيل ولا في القرآن مثلها ،وختم كتابه بالمعوذتين التي لم ير مثلهما، كما جاء في الحديث ليجمع سبحانه بين حسن الافتتاح وبين حسن الاختتام.

**اللطيفة التاسعة عشرة**: ﴿**مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ**﴾ لا يخفى ما بين هذين الوصفين من التنافي في الظاهر، لأن الوسواس كثير الوسوسة، والخناس كثير التأخر والرجوع، وقد وصف بهما محل واحد.

والجواب: أن لكل مقام مقال، فهو وسواس عند غفلة العبد عن ذكر ربه، خناس عند ذكر العبد ربه، كما دل على ذلك قوله تعالى ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ [الزخرف:36] وكما في قوله سبحانه ﴿**إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**﴾ [النحل:99].

**اللطيفة العشرون:** قوله عز وجل "**فِي صُدُورِ النَّاسِ"** إشارة إلى أن محل تسلط الشيطان ووسوسته هي الصدور والقلوب، ولهذا فأكثر الأدواء قلبية وأشدها نفسية، مما يوجب العناية بأحوال القلوب، وحفظها من الآفات .

**اللطيفة الواحدة والعشرون**: تسليط الجن والإنس على المؤمن، تحقيق للامتحان والاختبار وتحصيل للتكليف والابتلاء، فإنه لا يتحقق إلا بذلك، حتى تحصل من المؤمن المجاهدة والصبر، والأخذ بأسباب النجاة.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد.